

من تراث قرطاج : الأديب أبوليّوس

كم نحن في حاجة إلى معرفة تراثنا الأدبي و الفكري القديم حتى ندرك مدى إضافات اللاحقين من بعد السابقين ثم كي يتسنى لنا تطوير مساهماتنا في هذا العصر، ذلك أن العمل الثقافي بصفة خاصة لا ينشأ من الفراغ و إنما ينبجس من التجذر في المعرفة أولا

في هذا السياق إذن نشر الدكتور عمار المحجوبي بالكراس الثاني من دائرة المعارف التونسية لسنة 1992 فصلا مطولا ومهما عن الأديب القرطاجي الكبير أبوليّوس مع قائمة مهمة في المصادر والمراجع يمكن أن نلاحظ من الوهلة الأولى عدم تضمنها للإحالات باللغة العربية و هذا ما يؤكد قلة البحوث و الكتابات العربية حول أعمال هذه الشخصيات الفذة التي نشأت في شمال إفريقيا على مدى العصور السحيقة السابقة، لذلك فإن مقارنة الدكتور عمار المحجوبي أراها تندرج ضمن محاولة نفض غبار النسيان على ذلك التاريخ البعيد حتى لا يظل حكرا على المجالات الغربية و الاستشرافية فحسب.

النشأة و التكوين

منذ سنة 1935 نشر الأديب التونسي محمد البشروش بعض المقالات حول الأدب في عهد قرطاج و ذلك بمجلة - العالم الأدبي - التونسية- ثم واصل نشرها على صفحات جريدة - الزمان - بداية من سنة 1936 كما نقل ذلك الدكتور عبد الحميد سلامة في أطروحته حول الأديب محمد البشروش الذي اعتنى هو كذلك بأبوليّوس و سماه - ايلي- و الذي يعتبر من الأدباء الأفاضل، إذ كتب في الخطابة و الأدب و النحو و الفلسفة و القصة و قد ولد بمدينة - مادورا- سنة 125 بعيد الميلاد و كان والده من سراة المدينة و ذوي النفوذ المالي و الأدبي فيها فاعتنى بتربيته و تعليمه سائر علوم عصره و خاصة اللغة اللاتينية و النحو و البلاغة تلك التي نبغ فيها الأفارقة في ذلك العصر ثم ارتحل إلى العاصمة قرطاج لمزيد التطلع في العلوم و من بعدها سافر إلى آسيا و بلاد اليونان للإطلاع عن كثب على الفلسفة الإغريقية و التعمق فيها ثم قصد روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية لينهل من دراسة القانون و اشتغل فيها بالمحاماة فظهرت فصاحته و بلاغته و أبهر القوم بمنطقه و خطابته و

لكنه لم يمكث بروما بعض السنوات حتى أخذه الحنين إلى موطنه الأصلي فقفل راجعا إليه غير الشوق إلى الارتحال قد استبد به مرة أخرى فقصد الإسكندرية للنهل من مكتبتها الزاخرة و هناك في مصر اطلع على تراثها الفرعوني و الشرقي وهو الذي كان قد جمع قبلها ثقافات عصره فملا الوطاب من حضارة قرطاج و أضاف إليها المنطق اليوناني و القانون الروماني فأبوليوس يعتبر بحق مثقفا قد أخذ من كل حضارة بطرف

بعد الإقامة في الإسكندرية مدة قرر العودة إلى قرطاج و ما كاد يتوقف بمدينة طرابلس حتى وطد العزم على الاستقرار فيها تلبية لدعوة أحد أصدقائه الذي عرض عليه الزواج من أمه و هي تملك ثروة طائلة لكنها كانت الحادثة التي أدت به إلى المحنة حيث اتهم بتعاطي السحر وهو الذي كان مولعا في هذه الفترة بالطب و التشريح فما كان منه إلا أن استمات في الدفاع عن نفسه فظهرت بهذه المناسبة خاصة براعته الفائقة في سرد الحجج بخطابته البليغة و خرج من هذه المحنة بالنصر و التآلق و عاد إثرها إلى قرطاج مظفرا ليعيش فيها عزيزا مكرما

إن مسيرة أبو ليوس تمتاز بالجزارة و التنوع في المنهل الثقافي من ناحية و ذات وقائع ثرية في الحياة بما تخللها من أسفار و أحداث من ناحية أخرى، فهو إذن شمولي التكوين متعدد الآفاق

الأعمال الإبداعية

يرى الدكتور عمار المحجوبي أن أبولويوس يعتبر عند المؤرخ خير مثال لما بلغته نخبة المثقفين الأفارقة من انسجام و تجاوب مع الأفارقة من انسجام و تجاوب مع ثقافة الإمبراطورية الرومانية و حضارتها خلال القرن الثاني بعد الميلاد و إن لأبولويوس في تاريخ الأدب اليوناني اللاتيني مكانة مرموقة لا بالعقريه فحسب بل كذلك بتعدد جوانب شخصيته الأدبية حيث ألف عديد الكتب قد احتفظت المكتبة اللاتينية منها بثلاثة كتب هامة : الأول تحت عنوان - الأزاهير - وهو يشتمل على الخطب و المحاضرات التي طرق فيها مواضيع مختلفة على أساس الاستطراد مراوفا بين الطرح الفلسفي و السرد القصصي لرحلاته بالإضافة إلى ذكر النوادر و الطرائف من الحياة العامة وهو يذكر كذلك بعض النواحي من شؤونه الخاصة مثل تردده على مدينة - حمام الأنف - وهي من ضواحي مدينة تونس ، وذلك للاستحمام و الاستشفاء و هذا ما يجعل الكتاب جامعا لشتى الأفكار و الأخبار كأنه خلاصة لمسيرته الفكرية و

تسجيل لحياته اليومية

أما الكتاب الثاني فهو كتاب - الدفاع- و يعرف كذلك بكتاب -السحر -
و قد دون فيه أبوليوس المرافعة التي قام بها في مدينة طرابلس
للدفاع عن نفسه من تهمة تعاطي السحر للإيقاع بالمرأة التي تزوجها
هناك و استغلال ثروتها الطائلة و أثبت أنه كان يقوم بتجارب علمية في
علم الطبيعة و البصریات

أما الكتاب الثالث و لعله أهم آثار أبوليوس جميعا هو كتاب - المسوخ-
أو - التحولات - و قد ورد كذلك تحت عنوان - الجحش الذهبي- و هذا
الكتاب يعتبر من أشهر عيون الأدب اللاتيني و قد تناول فيه أبوليوس
قصة شاب يدعى لوقيوس كان شغوبا بالسحر فنزل عند ساحرة
للتحول إلى عصفور فتحول غلطا إلى شكل حمار، غير أنه حافظ على
إنسانيته فلم يفقد فكره و حسه و القصة بعد ذلك تعرف الظروف التي
انتقل فيها الحمار من مالك إلى آخر و تتوقف عند المواقف و المشاهد
المتوالية في معاناته و ما فيها من إبراز المجتمع الروماني الذي تتخلله
القيم المتضاربة

القصة إذن ذات أبعاد و رموز عديدة تتراوح من الوصف الأدبي إلى النقد
الاجتماعي و تصل إلى التعبير الرمزي عن الأحوال النفسية بما فيها من
طهارة و دنس فهي إذن ذات قيمة أدبية و فكرية و تاريخية كبيرة

أبوليوس بالعربية

يعتبر محمد البشروش من أول الأدباء العرب الذين اهتموا بهذا الأديب
الغد نظرا لحذقه اللغة الفرنسية و اطلاعه على أدبها و المترجمات إليها
من اللغة اللاتينية التي له إلمام بها ثم لأنه من المتجذرين في ثقافتنا
الوطنية بمختلف أبعادها و بتوالي عصورها و بالإضافة إلى محمد
البشروش فقد أشار إلى جملة آثار أبوليوس الباحث جان فونتان في
كتابه - فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية- الصادر عن بيت الحكمة
بتونس سنة 1986، و الجدير بالذكر أن الدكتور علي فهمي خشيم
الأديب الليبي الغد قد عكف من ناحية أخرى على تعريف الكتب الثلاثة
الرئيسية لأبوليوس و هي - تحولات الجحش الذهبي- و - دفاع صبراة-
و - الأزاهير- و بذلك قد أسدى عملا جليلا للأدب العربي حتى يستفيد
من عيون الآداب الأخرى ضمن جدلية الأخذ و العطاء

